

الرؤية والبناء في رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان لإخوان الصفاء

د. شفيق طه النوباني *

E.mail: shafeeqro@yahoo.com

* قسم اللغات والترجمة، كلية الآداب والعلوم، جامعة ظفار

الرؤية والبناء في رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان لإخوان الصفاء

د. شفيق طه النوباني

ملخص:

يتناول هذا البحث رسالة "تداعي الحيوانات على الإنسان" لإخوان الصفاء من ناحية علاقة الرؤية الفكرية التي تطرحها الرسالة والمنحى التعليمي فيها من جهة وبالبناء الذي قامت به من جهة أخرى، فقد قدم إخوان الصفاء مسألة عرض آرائهم الفكرية ومعلوماتهم المتنوعة على أي اعتبار أدبي أو فني مما جعل بناء الرسالة يتشكل في قالب خاص لإظهار رؤيتهم.

وقد حاول الباحث أن يثبت هذه العلاقة من خلال عدد من الإجراءات، فقد أجرى موازنة بين نسختين مطبوعتين للرسالة في محاولة منه للتوصل إلى البعد الأدبي والعلمي فيها، ثم حاول اكتشاف الفكر الذي يدعوله إخوان الصفاء في هذه الرسالة، كما حاول أن يتوصل إلى الجنس الأدبي الذي يمكن أن تندرج فيه، إذ يرتبط الجنس الأدبي بالبناء الذي تقوم به الرسالة، وبعد ذلك كان من المناسب تناول بناء الرسالة فهي تحتوي على خمس بنى أساسية تتنظمها كلها، وقد ارتبط هذا البناء بالطرح الفكري الذي تبناه إخوان الصفاء، كما أسهم المنحى التعليمي الذي انتحاه إخوان الصفاء في اتخاذ الرسالة هذا الشكل البنيوي. وقد أدرج الباحث في خاتمة البحث قائمة بالنتائج التي توصل إليها من خلاله.

مصطلحات أساسية: إخوان الصفاء، رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان، الرؤية والبناء.

The vision and structure in “ressalat tada’i al-haiwanat ala al-insan” by Ikhwan assafa

Dr. Shafeeq Taha Al-Nobany

Abstract:

This research studies “Ressalat Tada’i Al-haiwanat ala Al-insan” by Ikhwan Assafa from the side of the relation of the intellectual vision which the text (alressala) discusses and the educational approach from one side with the structure of the text from other side. Ikhwan Assafa put at first the issue of showing their intellectual ideas upon any other literary and artistic consideration which made the structure of the text perform in a special frame to reveal their vision.

The researcher tries to prove this relation through several procedures. He made a balance between two printed copies of the text trying to reach to the literary and scholarly dimension in the text. Then he tries to identify the ideology Ikhwan Assafa advocated in this text. Also he tries to identify the literary genre of the text. There for the literary genre which is connected to the structure which the text stands on. After that it was appropriate to discuss the text structure. It contains five basic structures along the text. The text structure attached to the ideology that Ikhwan Assafa adopted. Also the educational approach which Ikhwan Assafa took contributed to the structural form of the text. At the conclusion of the research the researcher listed the results which he came up with during the research.

Keywords: Ikhwan Assafa, Ressalat tada’i al-haiwanat ala al-insan, The vision and structure.

مقدمة :

الفني في القرن الرابع⁽³⁾، وخصص لها جزءا عرض من خلاله للرسالة عرضا عاما لم يقصد منه أن يتعمق فيها من الناحية الفنية أو الفكرية⁽⁴⁾، كما عرض لها مصطفى الشكعة⁽⁵⁾، إذ لاحظ ملاحظات مهمة بالنسبة للبحث الحالي سنشير إليها لاحقا، وقد ناقش عدد من الباحثين قصص الحيوان في التراث العربي دون ذكر الرسالة موضوع البحث⁽⁶⁾، غير إن معظم الدراسات التي تعرضت لهذه الرسالة جاءت في إطار فلسفي وفكري، فتناولتها بوصفها نصا فلسفيا أو إيديولوجيا، ذلك أن مثل هذه الدراسات هي في الأصل بحوث في فكر وفلسفة إخوان الصفاء⁷.

(1)

بين نسختين

حققت رسائل إخوان الصفاء انتشارا واسعا في القرن الرابع الهجري⁽⁸⁾، وربما كان للدعوة السرية التي انطلق منها هؤلاء أثر على هذا الانتشار، فطبيعة هذه الدعوة غالبا ما تثير الآخرين لحب الاستطلاع على مضمونها، ولعل في اطلاع أبي حيان التوحيدي على عدد من رسائل إخوان الصفاء وحمله جزءا منها إلى شيخه أبي سليمان المنطقي السجستاني ليطلع عليها⁽⁹⁾ شاهدا على ذلك، كما أن في كثرة المخطوطات التي وصلتنا لهذه الرسائل دليلا على سعة انتشارها⁽¹⁰⁾.

ويبدو أن الرسالة المشهورة باسم «تداعي الحيوانات على الإنسان» حازت على اهتمام خاص من قبل إخوان الصفاء أنفسهم⁽¹¹⁾، فقد أجريت تعديلات على نص الرسالة بما يستقيم مع أغراض معينة، وهذا ما سأحاول مناقشته في هذا الجزء من البحث، حيث لن أتعرض إلى موازنة بين مخطوطات الرسالة؛ ذلك أن هذا البحث يضيق بمثل هذا

يزخر التراث العربي الإسلامي بفنون أدبية اتخذت أشكالا جديدة كالمقامة والرسالة والسير الشعبية. وقد أجريت دراسات عديدة في أشكال هذه الفنون الأدبية وبنائها، إذ ركزت معظم هذه الدراسات كما هو الحال في دراسة سعيد يقطين في السيرة الشعبية⁽¹⁾ على الأشكال الأدبية والبنى التي ينتظم فيها عدد من النصوص، حيث تدرج هذه النصوص في جنس أدبي استقر وشاع في عصر معين.

وفي مقابل هذه النصوص التي تدرج في أجناس أدبية واضحة المعالم ظهرت نصوص أخرى تشكلت في بناء أدبي خاص لا يمكننا أن ننسبه إلى جنس أدبي واضح المعالم، وغالبا ما تأتي مثل هذه النصوص في إطار «الرسالة» بوصفها فنا أدبيا اتسع لأنماط أدبية متعددة⁽²⁾، ومن هذه النصوص الرسالة المعروفة باسم: «تداعي الحيوانات على الإنسان»، فقد اتخذت هذه الرسالة بناء خاصا سنحاول التعرف إليه من خلال هذا البحث.

تدور أحداث رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان» في جزيرة «بلاصاغون» حين طرحت عاصفة بحرية مركب جماعة من التجار والصناع وأهل العلم إلى ساحلها، فطابت لهم الحياة واستقروا فيها، فعمدوا إلى استخدام الحيوانات الموجودة في الجزيرة لقضاء حاجاتهم معتقدين أنها عبيد لهم، فنفرت منهم الحيوانات ولجأت إلى بيوراسب ملك الجن صاحب جزيرة «بلاصاغون»، لتشتكي على الإنسان؛ مما أدى إلى قيام المحاكمة التي تولى فيها ملك الجن مهام القاضي.

وقد نالت هذه الرسالة اهتماما ضئيلا من دارسي الأدب، فقد عرج عليها زكي مبارك في كتابه «النثر

تحمل دلالات على تداول النص بين القراء. تباينت عناوين الرسالة موضوع البحث على الرغم من تعلقها جميعها بالحيوان، فالعنوان الأول المقترن بالرسالة الثانية والعشرين من رسائل إخوان الصفاء «من الجسمانيات الطبيعية»: في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها» يتخذ بعداً علمياً، فهو يعطي المتلقي دلالة على مضمون رسالة تتعلق بأصناف الحيوانات وطبيعة تكوينها دون الإشارة إلى المنحى الأدبي فيها.

ويتسم العنوان الثاني: «الحيوان والإنسان» المقترن بالطبعة الصادرة عام 1900م في القاهرة بالعمومية، فهو لا يشير إلى مضمون محدد في الرسالة، ويفتح آفاق قارئه إلى أكثر من تصور علمي أو أدبي يمكن أن يندرج تحته، وهذا ما تجاوزه العنوان «تداعي الحيوانات على الإنسان» فقد أخذ بعداً أدبياً دالاً حين أشار بهذا العنوان الذي يحمل انزياحاً دلاليّاً إلى المنحى الأدبي في النص، فليس من الطبيعي أن تتداعى الحيوانات على الإنسان في ظل ناموس الطبيعة السائد.

يحمل العنوان وفق العادة دلالات على النص الذي يوسم به، ولعل في التحول الذي طرأ على عنوان هذه الرسالة دلالات على طبيعتها، فهي تجمع بين السمات العلمية والأدبية مما يعطيها طابعاً تعليمياً⁽¹⁷⁾، كما يرتبط هذا التحول في العنوان بتغييرات أجريت على النص⁽¹⁸⁾.

استُثني من النص الذي اعتمده فاروق سعد أولُ ثمانية عشر فصلاً⁽¹⁹⁾، إذ قدم إخوان الصفاء في هذه الفصول معلومات عن أصناف الحيوانات محاولين تحليل طبيعة كل منها، وقد جاءت هذه الفصول لتقدم المعلومات بأسلوب علمي مباشر لا

الإجراء، كما إنه لا يهدف إلى تحقيق متكامل للنص موضوع البحث، بل سأكتفي بالموازنة بين نسختين مطبوعتين للرسالة، وهما: النسخة المطبوعة ضمن رسائل إخوان الصفاء بمجلداتها الأربعة⁽¹²⁾، والنسخة المطبوعة للرسالة على حدة بتقديم فاروق سعد⁽¹³⁾، وذلك بهدف التعرف إلى جانب من طبيعة النص موضوع البحث، حيث تندمج فيه الملامح الأدبية والعلمية والفلسفية، بل إن إخوان الصفاء وظفوا الأدب لإيصال مضامين فكرية وعلمية.

اشتهرت الرسالة الثانية والعشرون من رسائل إخوان الصفاء: «من الجسمانيات إلى الطبيعيات: في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها» باسم: «تداعي الحيوانات على الإنسان»⁽¹⁴⁾، وقد جاء شيوع هذا العنوان بالطبعة التي أصدرها فاروق سعد عام 1977، إذ اعتمد في هذه الطبعة على النص المنشور على حدة في القاهرة سنة 1318- الموافق 1900م تحت عنوان رسالة الحيوان والإنسان بعد مطابقته على «النص المنشور في الجزء الثاني (الرسالة الثامنة) من بعض الطباعات العديدة المحتوية على مجموعة رسائل إخوان الصفا الكاملة والمؤلفة من جزئين والمنشور معظمها في القاهرة خلال هذا القرن»¹⁵.

لم يجر فاروق سعد أي تعديل أو تقديم أو تأخير في النص الذي اعتمده، واكتفى بإعادة تقسيمه تقسيماً موضوعياً يمكن القارئ من تتبع تسلسله والإحاطة بسياقه⁽¹⁶⁾، غير أن تلك المطابقة التي أشار إليها في تقديم الرسالة لم تظهر في هوامش النص، مع أن هناك فروقا عديدة بين النسختين، ولعله ارتكن في ذلك إلى كونه مقدماً لا محققاً للنص. والمتابع لعملية المطابقة بين النصين سيجد عدداً من الفروقات التي

دون الحيوانات⁽²⁶⁾، إذ جاء هذان التعليان أكثر إمعانا في الفلسفة، فاختصرا حتى يكون القول أقرب إلى العفوية، وهذا ما وقع في الاختصار الذي جاء في حكم ملك الجن في نهاية الرسالة إذ حذفت الجملة المتعلقة باستئناف الدور والحكم بحكم آخر⁽²⁷⁾.

ومع هذا الميل للاختصار لم يكن كل الحذف نابعا من هذا السبب، إذ تظهر دوافع إيديولوجية، كما هو الحال في حذف قول صاحب العزيمة في الرد على السرياني من آل المسيح: «قل أيضا: فما رعبنا حق رعايتها، وكفرنا وقلنا: ثالث ثلاثة، وعبدنا الصلبان، وأكلنا لحم الخنزير في القربان، وقلنا على الله الزور والبهتان»⁽²⁸⁾، إذ جاء هذا الحذف لينسجم مع الدعوة العامة إلى التقريب بين الديانات عند إخوان الصفاء خاصة أن السرياني بدأ حديثه بقول يدل على التوحيد: «الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد»⁽²⁹⁾.

ولا يتوقف التغيير الذي وقع في النسخة التي اعتمدها فاروق سعد على حذف بعض الفقرات والجمل من النسخة الواقعة في الرسائل، بل إن من يحاول أن يقارن بين النسختين المذكورتين سيجد أنه لا تخلو صفحة واحدة من تغيير في الصياغة اللغوية للجمل، أو تبديل مفردة بأخرى، إذ يلحظ أن هذه التغييرات تعبر في الأغلب عن الميل إلى الدارج من المفردات والتعبيرات أو ما هو أقرب إلى لغة التداول، فنجد مثلا استبدال مفردة «الدافئة»⁽³⁰⁾ بمفردة «الدفئة»⁽³¹⁾، ومفردة «صعد»⁽³²⁾ بمفردة «رقي»⁽³³⁾، وكثيرا ما نجد تخففا من بعض الضمائر دون إفساد المعنى، كما هو الحال في قول البغاء زعيم الجوارح: «فهم الذين غروكم بإظهار الورع والخشوع»⁽³⁴⁾ الذي استبدل بقوله: «فهم الذين غروكم بإظهارهم الورع

يعتمد أي عنصر حكائي كما هو الحال في الفصول اللاحقة، كما قدموا فيه هدف كتابة الرسالة الذي سنتناوله في موضع لاحق من هذا البحث.

لم يقتصر الحذف في هذه النسخة على الفصول الثمانية عشر الأولى، بل تجاوزه إلى مواضع في وسط الرسالة تتراوح بين الطول والقصر، والناظر إلى هذه المواضع يجد أن هناك ما يجمع المحذوف بسمة عامة، إذ إن إسقاطه لا يؤثر على اتصال الحكاية والكلام، كما هو الحال في حذف بعض التسبيحات⁽²⁰⁾، أو التحميدات التي تأتي في مطلع قول إحدى الشخصيات⁽²¹⁾، أو في معرض حديثها⁽²²⁾. وقد يكون الحذف لتجنب الاستطراد كما هو الحال في حذف حوار دار بين النملة وسيدنا سليمان عليه السلام في سياق قول الصرصر حين تطرق إلى أحجام بعض الحيوانات المتنوعة، وتناسب كل حجم مع طبيعة كل نوع من الحيوانات، إذ جاء هذا الحوار خارجا عن السياق لأنه يتعلق بموضوع العبادة⁽²³⁾، وقد يأتي الحذف لبعض الجمل التي توضح ما هو واضح أصلا، فقد حذفت مثلا جملة تتعلق باكتشاف الأطباء الأقدمين ترياقا في لحم الحية لمقاومة سمها، واكتفي بالجملة السابقة مع إجراء بعض التعديلات عليها⁽²⁴⁾.

يلحظ باستقراء مواضع الحذف الذي وقع في ثنايا النسخة المذكورة أنه جاء في معظمه للاختصار⁽²⁵⁾ الذي ينحو إلى إزالة الملل عن القارئ؛ مما يؤدي إلى تحقيق تداول أكثر للنص، كما يظهر هذا الميل إلى تحقيق التداول في حذف بعض الفقرات التي تنحو منحى فلسفياً معقدا إلى حد ما كما هو الحال في تحليل فرض الصلاة والصيام على البشر دون الحيوانات واختصاص الحلال والحرام بالبشر

والخشوع»⁽³⁵⁾.

وفي إثبات التتبع الدقيق للتحويلات التي جرت على هذه الرسالة ضمن هذا البحث ما يخرج به عن طبيعته وهدفه، إذ يمكن إحالة ذلك إلى عملية تحقيق متكاملة لمخطوطات الرسالة. وإنما أردت من هذه الموازنة بين النصين التوصل إلى دلالات معينة، إذ تشير هذه العملية إلى كون إحدى النسختين أصلاً للأخرى، ولعل النسخة التي جاءت في إطار الرسائل مجتمعة تمثل الأصل، في حين تمثل النسخة التي اعتمدها فاروق سعد النسخة المعدلة عن الأصل.

وقد ذكر بروكلمان هذه الطبعة الصادرة عام 1318 التي اعتمدها فاروق سعد، وأشار إلى الترجمات المتعددة التي اختصت بهذه الرسالة⁽³⁶⁾، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة انتشار هذه الرسالة دون غيرها من رسائل إخوان الصفاء سواء أكان ذلك على مستوى التداول بين أبناء العربية في عصر إخوان الصفاء وفي العصر الحديث أو على مستوى نشرها بلغات الأمم الأخرى في العصر الحديث.

لقد ظهرت أكثر من إشارة في ثنايا النص الذي اعتمده فاروق سعد إلى كونه تعديلاً عن النص المنشور ضمن الرسائل، فبالإضافة إلى تحولات العنوان التي تشير إلى أنتقال النص من تداوله بين المتخصصين إلى التداول بين المهتمين بالأدب، وهي فئة أوسع بطبيعة الحال، لم يرق مجري هذه التعديلات بحذف إشارة إلى بعض الذي حذفه، فبعد أن حذف جزءاً من قول زعيم الطيور عن تعليل فرض الصلاة على الإنسان بكونها حركات مختلفة الأشكال؛ «لأن الطبيب يأمر بحركات وخطوات من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى، وعلى

وجه الأرض بعد ثقل الطعام على المعدة، وتناول الأشياء الثقيلة في الليالي»⁽³⁷⁾ - بعد أن حذف هذا التعليل ظهرت إشارة إليه في نهاية قول زعيم الطيور: «والأيام كلها لنا جمعة وعيد والحركات كلها لنا صلوات وتسبيح فلم نحتج إلى شيء مما ذكرت وافتخرت»⁽³⁸⁾، ف(ال) العهدية تحيل إلى حركات الصلاة التي تم حذفها من النسخة المعدلة دون حذف ما يتعلق بها من إشارات لاحقة، وفي ذلك ما يدل على أن النسخة الأصلية هي تلك التي تضمنت التعليل والإشارة التي تعود عليه، في حين أن تلك النسخة التي تضمنت الإشارة دون ذلك التعليل الذي تعود عليه تمثل النسخة المعدلة، إذ سها القائم على هذه التعديلات عن إجراء التغييرات اللازمة تبعاً لما حذفه.

يبدو أن هذه التعديلات التي أجريت على الرسالة موضوع البحث جاءت بعد موت مؤلفها بمدة قليلة، إذ لا يجد الباحث مسوغاً غير هذا لإضافة تلك الخاتمة في نهاية النسخة المعدلة للرسالة⁽³⁹⁾، فالخاتمة تتناول كيفية تعاون إخوان الصفاء في طلب معيشة الدنيا بعد موت أحدهم، إذ لا يمت هذا الموضوع بصلة لموضوع الرسالة، غير إن القائم على هذه التعديلات ربما شعر بحرج تجاه أخيه المتوفى لتغييره في رسالته، فأضاف هذه الخاتمة دون إشارة صريحة له.

(2)

فكر إخوان الصفاء

جاءت هذه الرسالة لإظهار مفهومي الإنسان والحيوان في فكر إخوان الصفاء بالدرجة الأولى، لكنها لم تتوقف عند هذين المفهومين، بل ظهرت فيها معظم عناصر نظرياتهم وآرائهم الفلسفية إذ تفاوت

جنسها، مثل نفوس الأنبياء عليهم السلام⁽⁴⁴⁾. وقد أخذت فكرة الحاكم في رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان حيزاً واسعاً، غير أنها تبدو أكثر عمومية مما جاء في رسائلهم عن هذا الموضوع مما لا يتيح نسبهم من خلالها إلى اتجاه محدد ودقيق، ففي حوار الأسد مع النمر في اختيار رسول السباع إلى ملك الجان يتحدث النمر عن الخصال والواجبات على الملك والرعية، فالملك «ينبغي أن يكون أديباً لبيباً شجاعاً عادلاً رحيماً عالي الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارماً في الأمور متأنياً ذا رأي وبصيرة. ومع هذه الخصال ينبغي أن يكون مشفقاً على رعيته متحنناً على جنوده وأعوانه رحيماً بهم كالأب المشفق على الأولاد، شديد العناية بصلاح أمورهم»⁽⁴⁵⁾.

ويربط إخوان الصفاء بين مفردة الملوك والملائكة، قالوا على لسان الببغاء: «اعلم أن اسم الملك مشتق من اسم الملك وأسماء الملوك من أسماء الملائكة، وذلك أنه ما من جنس من هذه الحيوانات ولا نوع منها ولا شخص ولا صغير ولا كبير إلا ولله عز وجل ملائكة موكلون بها تربيتها وتحفظها وتراعيها في جميع متصرفاتها، ولكل جنس من الملائكة رئيس عليها يراعي أمورها وهم عليها أشد رحمة ورأفة وتحننا وشفقة من الوالدات لأولادها الصغار وبناتها الضعيفة»⁽⁴⁶⁾ فهم في ذلك يعطون للملك سمة نورانية تستمد من عالم الغيب، والحقيقة أن هذا الربط لا يكفي لأن نحكم على إخوان الصفاء بالتزام اتجاه محدد في مسألة الحكم، فهم يربطون بين الملائكة والملوك ليصلوا إلى أن الحكم ينبغي أن يتسم بأعلى درجات النزاهة والفضيلة.

وفي حين وصف إخوان الصفاء الصورة المثالية

تعبيرهم عنها بين الشرح والومضات السريعة، وسوف أحاول في هذا الجزء من البحث أن أقدم رؤيتهم الفلسفية في الرسالة من خلال بندين؛ يتعلق البند الأول بالدين والفلسفة، أما البند الثاني فيتعلق بمفهوم الإنسان والحيوان كما ظهرا في الرسالة.

1-2

الدين والفلسفة

يتسم فكر إخوان الصفاء بأنه فكر تجميعي، وقد تشبه أبو حيان التوحيدي إلى هذه السمة في مرحلة مبكرة، إذ رأى أن هذه الجماعة «جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة»⁽⁴⁰⁾، وقد زعموا أنهم يحاولون غسل الشرائع وتطهيرها بالفلسفة⁽⁴¹⁾، ولعل في فكر إخوان الصفاء ما يتجاوز عملية الغسل والتطهير هذه، فهم يقدمون تصوراً دينياً مابيناً للتصور الأصولي معتمدين في تنظيرهم على بعدين أساسيين، أولهما ديني، وثانيهما فلسفي يستقي من الحكمة اليونانية.

أخذ إخوان الصفاء عن أفلوطين نظرية الفيض التي تقول بالعقل الأول وفيضه لتكوين الجسم المطلق الذي تركبت منه الأفلاك والكواكب عن طريق الهيولى الأولى⁽⁴²⁾، وقد نعتوا الله تعالى بقولهم: «هو العقل الفعال ذو العلم والأسرار»⁽⁴³⁾، ومن الواضح في هذا الوصف أن إخوان الصفاء أرادوا أن يفسروا الذات الإلهية من خلال الفكر اليوناني.

وتمثل النفس الكلية المصدر الثاني للفيض بعد العقل الأول، وقد تشوبها صفة الجسمية، فإن «من الأنفس الجزئية ما يتصور بصورة النفس الكلية، ومنها ما يقاربها، وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والأخلاق الجميلة، وكلما كانت أكثر قبولاً كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء

لقد احتوت رسائل إخوان الصفاء علوم الأوائل ممتزجة بالمذاهب والديانات في محاولة منهم لتوفيقها مع الدين الإسلامي⁽⁵²⁾، ومن هنا دعوا إلى عدم معاداة الطوائف، يقولون: «ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها»⁽⁵³⁾. وقد ظهرت هذه النزعة التوفيقية في الرسالة موضوع البحث، فمثلت الإنس شخصيات من أجناس وديانات متنوعة، فمنهم المسلم والمسيحي والرومي واليوناني والسرياني والفارسي، وكلهم يكشف عن ديانته دون أن يُظهر أي منهم ازدراء بأي من هذه الديانات أو القوميات.

2-2

مفهوما الإنسان والحيوان

جاءت رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان» لإظهار مفهومي الإنسان والحيوان عند إخوان الصفاء بالدرجة الأولى، وإذا كانوا قد ذكروا أوجهاً متعددة لأفضلية الإنسان وتمجيده، فإن هذه الوجوه جميعها كانت قابلة للرد والنقض، بل والتحول من كونها دالة على تمييز الإنسان إلى العكس، ومن ذلك زعم الفارسي أن من الإنس الخطباء والشعراء الذي رده البيغاء بقوله: «وأما الذي ذكرت أن منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين والمذكّرين ومن شاكلهم، فلو أنكم فهمتم منطق الطير وتسبيح الحشرات وتكبيرات الهوام وتهليلات البهائم.... لعلمتم معشر الإنس وتبين لكم أن في هؤلاء الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين ومستخيرين ومذكّرين وواعظين مثلما في بني آدم، ولما افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شاكلهم، وكفى دلالة

للملك حملوا على خلفاء عصرهم، حتى إنهم ساقوا أحاديث موضوعة في ذلك كقولهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من تبون في قوم إلا يستخلفها الجبروتية»⁽⁴⁷⁾، كما عدوا سلبيات هؤلاء الخلفاء، فهم «يسمون باسم الخلافة النبوية ويتسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الأمور ويرتكبون كل محذور ويقتلون أولياء الله وأولاد الأنبياء ويسبونهم ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمر ويبادرون إلى الفجور»⁽⁴⁸⁾، ولا يخفى في ذلك النزعة المعارضة للعباسيين لدى هذه الجماعة.

ومما ارتبط بنظرية الفيض عند إخوان الصفاء مفهوم وحدة العالم، فقد نتجت عن سريان الفيض حركة ربطت العالم كله ليلاً ونهاراً، وهذه الحركة تمثل سر الحياة في الكون، ووجود الكائنات الحية مرتبط بهذه الحركة⁽⁴⁹⁾، ولعل مفهوم وحدة العالم سمح لإخوان الصفاء بالأخذ بعلم التنجيم ليكون أساساً من أسس تطهيرهم.

تعرض إخوان الصفاء في الرسالة موضوع البحث إلى علم التنجيم، فبعد أن تحدث البيغاء عن لجوء الجهال من بني آدم من العوام والنساء والصبيان والحمقى إلى المنجمين سأله ملك الجان عن فائدة التنجيم، فأجابه البيغاء بوجود فوائد لهذا العلم؛ ولتحقيق هذه الفائدة ينبغي أن يؤخذ بأحكام النجوم الكلية التي تدل على «حوادث الأيام ونوائب الزمان لا على ما يستعمله اليوم المنجمون ومن اغتر بقولهم بأن يختاروا طالعاً جزئياً فيتحرزون به من موجبات أحكامه الكليات»⁽⁵⁰⁾. فهم يعدون علم التنجيم من دلالات وحدة العالم إذ تؤثر تحركات النجوم على حركة السير التاريخية عبر العصور⁽⁵¹⁾.

فقد عروا فيها الإنسان من سمات التميز والتفوق التي ادعاها لنفسه، فالعبادات التي أمر الله تعالى بها الإنسان عذاب وعقوبات و غفران للذنوب ومحو للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر، والحيوانات بريئة من ذلك كله، ولذلك لم تحتج إلى العبادات⁽⁶⁵⁾، والعلوم والمعارف والفنون التي ادعاها الإنسان لنفسه إما أن تكون موجودة دون عناء لدى الحيوان كالحرّف التي برعت فيها بعض الهوام أكثر من الإنسان دون الحاجة إلى أدواته، فالعنكبوت ينسج شبابه دون حاجة إلى مغزل أو مفتل أو أدوات كما هو الحال عند الحائك أو النساج⁽⁶⁶⁾، أو أن تكون غنية عنها كما هو الحال في الفلسفة التي ضللت الناس عن المنهاج المستقيم وطريق الدين وأحكام الشرائع بكثرة اختلافات الفلاسفة ومذاهبهم ومقالاتهم⁽⁶⁷⁾.

والمتمعن في فكر إخوان الصفاء في مفهوم الإنسان ومفهوم الحيوان يجد أن تنظيرهم الذي جاء على أسنة الجن والإنس والحيوان ينزع إلى الطبيعة الأولى المقترنة بالفريزة التي تبتعد عن تشذيب الحضارة والمدنية، فالبيغاء مثلا يرى في عدم حاجة أبناء الحيوانات إلى التعليم بعد الولادة تميزاً لها على الإنسان الذي يحتاج مولوده إلى مدة طويلة للحضانة والتربية⁽⁶⁸⁾. ولعل الاستشهاد بنزول آدم إلى الأرض بوصفه حدثاً مفصلياً في تاريخ الإنسان أدى إلى شقائه يدل على ذلك بوضوح أكبر، فقد كان آدم وحواء في الجنة، وهي بستان في المشرق على رأس جبل الياقوت، وكانا يأكلان من ثمار ذلك البستان بلا كد ولا تعب ولا حسد ولا استتار ولا خوف ولا حزن، حتى اغتراً بقول عدوهما إبليس، وأخرجا من هناك عريانين مطرودين، فوقعا في بركة قفرة، وبقياً هناك جائعين عريانين يبكيان على ما فاتهما

وبرهاناً على ما قلت وذكرت قول الله عز وجل في القرار العزيز: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم»⁽⁵⁸⁾ فنسبكم الله تعالى إلى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله: «لا تفقهون تسبيحهم» ونسبنا إلى العلم والفهم بقوله: «كل قد علم صلاته وتسيحه»⁽⁵⁹⁾ ثم قال: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»⁽⁶⁰⁾ فهل على سبيل التعجب لأنه يعلم كل عاقل أن الجهل لا يستوي مع العلم لا عند الله ولا عند الناس⁽⁶¹⁾.

وإذا كانت الحجج التي ساقها الإنس جميعها قابلة للرد فإن هناك حجة واحدة غير قابلة لذلك، وهي اختيار الله سبحانه وتعالى للإنس لكي يكونوا في وجودهم الأبدي في الحياة الآخرة في حين أن الحيوانات بمغزل عن ذلك⁽⁶²⁾، وفي هذه الحجة ما يجعل التفضيل الديني للإنسان ماثلاً في نهاية الرسالة وباديتها عندما استشهد الإنسيون بالآيات القرآنية التي تعلي من شأن الإنسان في مقابل الحيوان⁽⁶³⁾.

لقد جاء تفضيل الإنسان على غيره من المخلوقات وفق رؤية دينية خالصة لدى إخوان الصفاء؛ يقولون في الرسالة الثامنة من العلوم الناموسية والشرعية: «واعلم أيها الأخ أن الإنسان الغافل عن العبادة، المنهمك في المعصية، هو أخس من الحيوان، وأخس من النبات، وأخس من المعادن، مردود إلى أسفل السافلين، لأن الجواهر المعدنية قبلت الصورة وهولم يقبلها، والشجرة ساجدة وراكعة لربها وهو لا يسجد، والحيوان طائع للإنسان وهو لا يطيع ربه ولا عرفه ولا وجده»⁽⁶⁴⁾.

هذه الرؤية هي التي دعت إخوان الصفاء إلى توجيه نقد لاذع للبشر في الرسالة موضوع البحث،

يجتمع من خلالها الناس دون خلاف أو اقتتال «لأن الديانات والآراء والمذاهب إنما هي طرقا ومسالك ... والمقصود والمطلوب واحد من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله»⁽⁷³⁾، وما يتم الاقتتال فيه هو التعدد؛ أي تعدد المذاهب والآراء، مع أنهم يرون في «اختلاف أهل الديانات في أمر الدين وسنن أحكامه حكمة جلية لا يعرفها إلا المحققون المستبصرون»⁽⁷⁴⁾.

ولعل هذه النظرة التوفيقية عند إخوان الصفاء نبتت من نظرتهم إلى الإنسان بوصفه كائنًا اجتماعيًا متعدد الثقافات، فأقاليم «الأرض سبعة في كل إقليم عدة من البلدان، وفي كل بلاد عدة مدن، وفي كل مدينة خلائق كثيرة لا يحصي عددها إلا الله عز وجل. وهم مختلفو الألسنة والآراء والمذاهب والأعمال والأحوال والمآرب»⁽⁷⁵⁾.

وقد جاءت قفلة الرسالة متناسبة مع مذهب إخوان الصفاء في دور الدين في توحيد الناس، إذ جاء في وصف الشخصية التي قامت لسؤال ملك الجان عن الحكم الذي أصدره قول الراوي: «قام عند ذلك الخبير الفاضل الذكي العابد المستبصر الفارسي النسبة العربي الدين الحنفي الإسلام العراقي الأدب العبراني المخبر المسيحي المنهاج الشامي النسك اليوناني العلوم الهندي التعبير الصوفي الإشارات الملكي الأخلاق الرباني الرأي الإلهي المعارف»⁽⁷⁶⁾.

ولعل الناظر في رؤية إخوان الصفاء للوهلة الأولى سيلحظ أن هناك تناقضًا في تفكيرهم، فهم يرون في تعدد المذاهب والأديان نعمة، ثم يشيدون بالحياة الأولى التي عاشها آدم في الجنة، ويركزون على وحدة الدين التي تمثل تلك الحياة، غير أن المتمعن في هذه الأفكار سيجد رؤية منسجمة إلى حد ما،

من النعم إلى أن بعث الله تعالى لهما ملكًا علمهما الحرث والحصاد واتخاذ اللباس من حشيش الأرض من القطن والكتان بعناء وتعب وشقاء⁽⁶⁹⁾.

إن خروج آدم من الجنة يعني خروجه من الانسجام التام مع الطبيعة، وقد أدى هذا الحدث إلى أنشغاله بمشاغل حياته الدنيا التي قادته في كثير من الأحيان إلى سلوكات سلبية تقدها إخوان الصفاء، فمن البشر المرتشون ومنهم من «يتقهنون في الدين طلبًا للدنيا وابتغاء للرئاسة فيها والولايات والقضاء والفتاوى بأرائهم ومذاهبهم فيحللون تارة ما حرم الله ورسوله ويحرمون تارة ما أحل الله ورسوله بتأويلاتهم الكاذبة ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة»⁽⁷⁰⁾. وإذا كان الإنسان قد ظهر بهذه الصورة في الرسالة موضوع البحث، فإن الحيوانات تظهر بصورة إيجابية، فبالرغم من تعدد أشكالها تتجلى وحدة اعتقادها ومذهبها، فهي كلها موحدة مؤمنة مسلمة⁽⁷¹⁾.

لقد جاء النزوع إلى الطبيعة الأولى عند إخوان الصفاء في سبيل غاية قصوى لعلها تمثل منتهى فلسفتهم في هذه الرسالة، وتتركز هذه الغاية في ثنائية الوحدة والتنوع، ولعل التركيز في قول الزعيم الفارسي يوضح هذه الثنائية، «قال: إن الدين والملك توأمان لا يفترقان ولا قوام لأحدهما إلا بأخيه. غير أن الدين هو الأخ المقدم والملك الأخ المؤخر المعقب، فلا بد للملك من دين يتدين فيه الناس، ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعًا أو قهرًا، فلهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضًا طلبًا للملك والرئاسة، كل واحد منهم يريد انقياد الناس أجمع لدينه ومذهبه وأحكام شريعته»⁽⁷²⁾.

يمثل الدين عند إخوان الصفاء الوحدة التي

وخصالها المحمودة، وطرفا من طغيان الإنسان وتعديه على ما سواه مما سخر له من الأنعام والحيوانات أجمع⁽⁷⁹⁾.

يظهر الملمح العلمي في المغزى الذي جاء في الفصل الأول من النسخة الموجودة في الرسائل، وقد حذف هذا المغزى من النسخة الأخرى المعدلة، وجاء القائم على إجراء التعديل بمغزى جديد يتفق وقراءته للرسالة، فأضاف جملة جديدة للفقرة الأخيرة منها تبين مغزاها: «وأنت يا أخي فاعلم علم اليقين بأن الأوصاف التي غلبت الإنس على طبقات الحيوانات بحضور ملك الجن هي التحقق بالعلوم والمعارف التي أوردناها في إحدى وخمسين رسالة بأوجز وأقرب ما يكون»⁽⁸⁰⁾، فهذه الرسالة تمثيل وتحقيق للعلوم والمعارف التي أوردتها إخوان الصفاء في الرسائل الأخرى، حيث خرجت هذه العلوم والمعارف إلى صورة عملية فنية يسهل من خلالها فهم نظريتهم.

يلحظ من خلال المطابقة بين النسختين اللتين اعتمدهما هذا البحث أن التعديلات التي أجريت في النسخة المعدلة لم تكن عبثية، بل كانت ناتجة عن استقراء وفهم للطبيعة الأدبية الفلسفية للرسالة موضوع البحث، كما إنها تنحو منحى أدبيا تعليميا، خاصة إذا ما استثنينا الفصول الأولى التي حذفت بعد التعديل، والمتعمن في تفاصيل الرسالة ورؤيتها الكلية ومفهومي الإنسان والحيوان فيها سيجد أن الغرض الذي جاء في مقدمة النسخة التي جاءت ضمن الرسائل غير مناسب للطرح الفكري الذي تعرضنا له سابقا، فإن تعرضت هذه الرسالة لصفات الحيوانات الفيزيائية، فهي لا تتوقف عندها في الأغلب، وإنما يبتغي إخوان الصفاء أن يصلوا إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد جاء إيراد معظم صفات

فهم يتوقون إلى تلك الحياة الأولى التي انسجم فيها الإنسان مع الطبيعة، ومثلوا على هذه النزعة بالدين الذي يوحد الناس ويجعلهم متوافقين، وفي الوقت نفسه يريدون أن يهيئوا للتعايش بين المذاهب المتنوعة التي ظهرت نتيجة تحضر الإنسان وتعدد معارفه ومذاهبه باختلاف معتقدات الناس ومنابتهم وبيئاتهم، فالدين بالنسبة لهم يمثل حالة الانسجام مع الطبيعة، في حين أن المدنيّة تمثل حالة الإنسان بعد انفصاله عن الطبيعة، وما دام الإنسان يحافظ على الدين فسوف يحفظ بذرة الوحدة التي تجمع بين الناس من شتى المناابت.

(3)

تداعي الحيوانات على الإنسان

والجنس الأدبي

هيات الطبيعة الأدبية لهذه الرسالة دون سائر رسائل إخوان الصفاء انتشارا أكبر لها، وقد انعكس ذلك عليها من جهة تباين نسخها، كما ظهر في التصريح بغرضها من ناحية التعديل الذي طرأ عليه، ففي النسخة الموجودة في إطار الرسائل، نبّه إخوان الصفاء إلى مغزى كتابتها، فقد أرادوا من خلالها أن يذكروا «طرفا من كيفية تكوين الحيوانات وبدء كونها ونشوتها ونمائها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها واختلاف أخلاقها»⁽⁷⁷⁾، كما أرادوا أن يبينوا «أن آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان، وآخر مرتبة الإنسان متصل بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والأفلاك وأطباق السموات»⁽⁷⁸⁾.

وعلى الرغم من إقرارهم أن صورة الإنسان محمودة في أصل وجودها لكونه خليفة الله في الأرض أرادوا أن يبينوا طرفا من فضائل الحيوانات

كما تداخلت في إطار مقابلة بين الإنسان والحيوان، فعندما استعرض زعيم الحشرات مثلاً فنون النحل في بناء بيوتها كان هذا الاستعراض في معرض الرد على الرومي الذي ادعى أن كثرة علوم الإنسان وفتون معارفه وجوده فكره دليل على أن الحيوانات عبید له⁽⁸¹⁾.

ولعل من الواضح أن هذه المقابلة لم تأت في الأصل لبيان صفات النحل والفنون التي تمكنت منها، وإنما جاءت للمقابلة بين شكلين من أشكال المعرفة؛ الشكل الأول يتعامل مع الطبيعة من الخارج ويحاول التعديل في تشكيلها، وهذا الشكل يتعلق بالمعرفة العلمية الإنسانية، والشكل الثاني يتعامل مع الطبيعة بوصفه جزءاً منها، وهذه هي المعرفة الحيوانية الفطرية، وقد روج إخوان الصفاء لهذا النوع من المعرفة، فقد أتاحوا للحيوانات أن تتحدث أكثر من الإنسيين في هذا المجال، حتى إنهم جعلوا ملك الجن يقتنع بمعظم آراء الحيوانات، فإذا ما حكم في النهاية لصالح الإنسان تفاجأ القارئ⁽⁸²⁾.

أشار مصطفى الشكعة إلى أن هذه الرسالة «تتميز بالنزعة الفكرية الفلسفية أكثر من تميزها بالصفة الأدبية البيانية»⁽⁸³⁾، ولعل من البدهي أن هذه النزعة الفلسفية لا تفي عنها صفة الأدبية، فقد قدمت الرسالة رؤية فلسفية فكرية من خلال نص أدبي، وإذا ما أقررنا أن هذا النص أدب توجب علينا أن ندرجه في إطار جنس أدبي معين.

تفتقد الرسالة موضوع البحث لسمات جنس من الأجناس الأدبية الحديثة المتعارف عليها، ولعلنا لا نستطيع أن نخرجها عن ذلك الجنس الذي صيغت في إطاره أصلاً، فجنس الرسالة بوصفها صيغة مفتوحة، تتداخل بالقصة والحكاية من حيث البنية،

عد فاروق سعد رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان» في تقديمه لها في جنس «ملحمة الحيوانات»، ولعله اعتمد في ذلك على طول الرسالة، وتشكيل الحيوانات شخصيات رئيسة فيها⁽⁸⁵⁾ متجاهلاً الطابع العام لهذا النوع الأدبي حيث تدور حلقة من القصص «حول شخصية رئيسة مخادعة تظهر عادة في شكل حيوان»⁽⁸⁶⁾، وهذا ما تقتضيه الرسالة موضوع البحث التي تتنوع فيها الشخصيات دون أن تشكل واحدة منها شخصية رئيسة تدور حولها الأحداث، ولعل توجه فاروق سعد بعد ذلك إلى إدراج هذه الرسالة في أدب المحاكمات الذي عدّه جنساً أدبياً قائماً بذاته⁽⁸⁷⁾ يبعد دراسته عن المنهجية، إذ لا يمكننا أن ندرج نصاً واحداً في جنسين أدبيين، ناهيك عن كون أدب المحاكمات لا يشكل نوعاً أدبياً مستقلاً بذاته مع أنه يتسم بسمات أدبية خاصة قد تشترك فيها الأنواع الأدبية المتنوعة سواء أكانت رواية أو مسرحية أو قصة.

ويرى سعد أن «تداعي الحيوانات على الإنسان» و«كليلة ودمنة» تشابهان من ناحية البناء الفني على الرغم من كون الأولى تنتمي إلى فن ملحمة الحيوان في حين أن الثانية تنتمي إلى فن خرافة الحيوان، «ففي كتاب كليلة ودمنة تبدأ حكاية كل باب بجلسة تجمع بين دبشليم ووزيره بيدبا الفيلسوف الحكيم يستهلها الملك بسؤال الفيلسوف عن قصة لمثل من الأمثال، وفي تداعي الحيوانات على الإنسان تكون جلسات المحاكمة التي يتصدرها بيوراسب ملك الجن بمثابة أبواب تبدأ عادة بطرح سؤال. كما أن

3. اجتماع الحيوانات.
4. قرار الحيوانات إرسال رسول إلى كل صنف منها.
5. انتداب كل صنف من الحيوانات حيواناً، ويمكن تفريع أحداث متعددة من هذا الحدث؛ مثل اختيار الثعلب، واختيار الهزار...
6. إقامة المحكمة.
7. القضاء لصالح الإنسان.⁽⁹⁰⁾
أما حكاية " الحمامة والثعلب ومالك الحزين"، وهي من أقصر الحكايات في كلیلة ودمنة فيمكن تلخيصها بالأحداث الآتية:
 1. إنشاء الحمامة العش.
 2. تفريخ الحمامة في العش.
 3. وضع الحمامة للبيض.
 4. تهديد الثعلب للحمامة لكي تلقي له فراخها.
 5. حزن الحمامة إثر استيلاء الثعلب على فراخها.
 6. التقاء مالك الحزين بالحمامة.
 7. اقتراح مالك الحزين خطة على الحمامة.
 8. تنفيذ الحمامة لخطة مالك الحزين.
 9. استفسار الثعلب عن مصدر علم الحمامة.
 10. إخبار الحمامة مالكا الحزين عن مصدر معرفته.
 11. احتيال الثعلب على مالك الحزين.
 12. قتل الثعلب مالكا الحزين.⁽⁹¹⁾
- ومن الواضح أن الأحداث في الحكاية الأخيرة تفوق في عددها الأحداث في الحكاية موضوع البحث. ولعل في ذلك ما يخرج هذه الرسالة من الحكاية الخرافية التي تتسم بكثرة الحوادث⁽⁹²⁾.

كل باب من أبواب كلیلة ودمنة هو عبارة عن حكاية رئيسة تشتمل على حكايات قصيرة فرعية جميعها متداخلة ومرتبطة بالحكاية الرئيسية إذ غالباً ما ترد على لسان إحدى شخصياتها في معرض الاستشهاد أو ضرب الأمثال. والمرافعات في رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان هي أشبه بالحكايات القصيرة الفرعية⁽⁸⁸⁾.

ولا شك في أن إخوان الصفاء قد تأثروا في هذه الرسالة بكتاب كلیلة ودمنة، لكن هذا التأثير لم يتجاوز تمثيل الحيوانات شخصيات في النص المتأثر، إذ لم تقدم الفصول المتعددة في الرسالة موضوع البحث أحداثاً حكاية، بل كانت تعرض في الأغلب حجاجاً يتناول المفاضلة بين الإنسان والحيوان، وإن وردت بعض الملامح الحكاية في الفصول الفرعية، فإنها لا تتجاوز أن تكون إثباتاً لوجهة نظر معينة، كما هو الحال في سرد زعيم الطيور لحكاية خروج آدم وحواء من الجنة، فقد سردها لكي يثبت أن لذيذ الطعام والشراب الذي ينعم به الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر عصيانه بعد أن أخرجه الله تعالى من الجنة، فقد صار يحصل على هذا الطعام بمشقة بعد أن كان يحصل عليه دون تعب⁽⁸⁹⁾.

ولو وازنا بين الرسالة موضوع البحث وإحدى أصغر الحكايات في «كلیلة ودمنة» لوجدنا أن الأحداث في الحكاية الأخيرة تفوق تلك التي في «تداعي الحيوانات على الإنسان» بعد شكوى الحيوانات أمرها إلى ملك الجن بعد أن عرفت اعتقاد الإنسان بأنها عبید لهم، إذ يمكن تلخيص هذه الأحداث بالآتي:

1. قرار الجن بالاستماع إلى كل من الإنسان والحيوان.
2. اجتماع الإنس.

جزء كبير منها على الحجاج الذي يعد العنصر الأساس في المناظرة.

تستخدم المناظرة «للدلالة على نص صغير أو كبير يعرض حواراً بين شخصين، وأحياناً أكثر، كل من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنى فرضية تخالف فرضية الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين وإدحاض فرضية الآخر وأدلتها»⁽⁹⁹⁾. لكن هذا الجنس الأدبي⁽¹⁰⁰⁾ لا يحتوي أي عناصر حكاية في بنائه، والرسالة التي بين أيدينا تعتمد إلى حد ما على الحكاية، ولعل في تصنيف الدارسين لهذه الرسالة كل مرة في جنس أدبي دليلاً على تجمع عناصر متنوعة من أجناس أدبية متنوعة فيها.

(4)

بناء النص

اتخذت رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان» بناءً خاصاً يتلاءم مع الرؤية الفكرية والمنحى الأدبي التعليمي فيها، وسوف أحاول في هذا الجزء من البحث أن أقدم الأشكال البنائية التي قامت بها الرسالة، ولعل ما ينبغي الإشارة له قبل البدء بذلك أن تلك الفصول الثمانية عشر التي لم تدخل في إطار النسخة التي اعتمدها فاروق سعد لن أتناولها ضمن هذه الأشكال البنائية، فهي كما أشرت سابقاً تقدم معلومات بصورة مباشرة، ولا تحتوي أي عنصر حكاية أو سردي.

يمكن تناول الرسالة موضوع البحث من خلال خمسة أنواع من البنى تغطي كل ما ورد فيها:

1. بنية الحكاية (التلخيص): تأخذ هذه البنية أصغر مساحة نصية في الرسالة، إذ لا تتجاوز

لقد جاءت عناوين الفصول في الرسالة المنشورة ضمن رسائل إخوان الصفاء تحت عناوين علمية⁽⁹³⁾ في معظمها، كما هو الحال في الفصل الذي جاء تحت عنوان: «فصل في بيان علة اختلاف صور الحيوان»⁽⁹⁴⁾، والفصل الذي جاء تحت عنوان: «فصل في بيان جودة الحواس في الحيوان»⁽⁹⁵⁾، وفي ذلك دلالة على أن إخوان الصفاء مهتمون أولاً بتقديم فكرهم وآرائهم وعرض المعلومة للقارئ، إذ لا يهمهم الحدث بوصفه مفصلاً في تشكيل الرسالة. ولو أن الرسالة اتخذت منحى فنياً يمكن من خلاله أن ندخلها في الحكاية الخرافية لوجدنا نوعاً من الحيلة لدى الشخصيات المتنوعة خاصة أن هناك محكمة يرغب كلا الطرفين بالوصول إلى مبتغاه من خلالها. ولم يتوافر ذلك في النص لأن إخوان الصفاء لم يكونوا مشغولين بتقديم نص فني يسيطر فيه الحدث والحركة، بل كان هاجسهم تقديم رؤاهم بطريقة فريدة يشوقون من خلالها القارئ.

لقد أخرج إخوان الصفاء الرسالة موضوع البحث من إمكانية تجنيسها في أي جنس أدبي غير الرسالة، فعدم توفر الصراع فيها يخرجها من جنس المسرحية⁽⁹⁶⁾، إذ يمثل الصراع «العمود الفقري في البناء الدرامي، فبدونه لا قيمة للحدث»⁽⁹⁷⁾، وما نجده في هذه الرسالة لا يعدو أن يكون حواراً حجاجياً لا يصل إلى درجة الصراع الدرامي الذي لا بد لإقامته من تأييده بسلوك يمثل حدثاً.

ولعل هذا الحوار الحجاجي هو الذي جعل بروكلمان يشير إلى ترجمة ديتريصي لهذه الرسالة على أنها مناظرة⁽⁹⁸⁾، والحقيقة أن الرسالة تحتوي على الكثير من سمات المناظرة، وسوف يتعزز هذا الافتراض عند دراسة بناء الرسالة التي تعتمد في

الصفاء من أحداث تتعلق بفجر التاريخ إلى الأحداث التي سردوها في جزيرة بلاصاغون حاولوا بذلك أن ينقلوا تجربة البشرية كلها في تعاملها مع الحيوان من خلال هذا المكان، فقد تحددت أحداث الحكاية بتجربة جرت في مكان مقفل ووقت محدد يتسنى من خلاله عرض تصور معين للتجربة البشرية منذ فجر التاريخ، ولا يخفى في ذلك طبيعة القالب التقريبي العام الذي قدمت من خلاله الحكاية، شأن العديد من القصص التعليمية كقصة «حي بن يقظان» لابن طفيل، و«روبسون كروزو» لدانييل ديفو و«الجزيرة السحرية» لجون فيرن⁽¹⁰⁴⁾.

وإذا كانت هذه البنية قد اعتمدت على تقنية التلخيص الزمنية فإن باقي البنى كلها تعتمد على المشهد الذي «يكون دائماً في الحوار حيث يفترض أن الحوار هو النموذج الأكمل لتساوي وتساوق زمن الخطاب مع زمن الحكاية»⁽¹⁰⁵⁾، ولا بد في هذا المقام من استثناء جمل قليلة من ذلك، كما هو الحال في قول السارد: «ولما قام الملك من مجلسه وانصرفت الطوائف الحاضرات، اجتمعت البهائم فخلصت نجياً»⁽¹⁰⁶⁾ إذ إن مثل هذه الجمل تتضمن أحداثاً بسيطة وثنائية، وترد أحياناً في مقدمات الفصول التي تتضمن اجتماعات متعددة الأشكال.

2. بنية الحجاج: وقد اخترت هذه التسمية لتوافقها مع شكل البنية موضوع الدراسة فالحجاج يعتمد على «جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا»⁽¹⁰⁷⁾.

وتتمثل المقولة الأساسية في هذه البنية في الجملة التي يطرحها الإنسان: «الحيوانات عبيد

ثلاث صفحات منها، وتمثل المبتدأ الذي قامت عليه الرسالة، حيث إن إخوان الصفاء يسردون من خلال هذه الصفحات قصة الحيوانات مع الإنسان منذ أن توالد أولاد آدم إلى أن طرحت الرياح العاصفة مركبا إلى ساحل جزيرة بلاصاغون، فقد كان بنو آدم مستوحشين يأوون في رؤوس الجبال متحصنين في المغارات والكهوف، وعندما كثروا تصرفوا في الأرض وبنوا المدن والقرى ثم سخروا الحيوانات لخدمتهم وكلفوها أكثر من طاقتها مما دعاها إلى النفور منهم والهروب إلى البراري البعيدة، فتشمر بنو آدم في طلبها بالحيلة والقنص معتقدين أنها عبيد لهم هربت وعصتهم. وبعد مضي السنين بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ودعا الإنس والجن إلى الإسلام، فأسلمت طائفة من الجن. وبعد مضي السنين ولي بيوراسب الحكيم المسلم ملكا على الجن في جزيرة «بلاصاغون»، ثم طرحت الرياح السفينة المذكورة إلى هذه الجزيرة، وجرت شكاية الحيوانات إلى ملك الجن التي استتبع تلك المحاكمة.

والناظر إلى هذه الأحداث يجد أنها تعتمد أقصى درجات التلخيص الذي «يحدث عندما يقدم المؤلف خلاصة موجزة لأحداث عديدة أو فترات طويلة»⁽¹⁰¹⁾، وكما تعتمد هذه التقنية السردية على جمل مثل: «ومرت الأيام، أو «ثم مضت السنون» التي نجدها مستخدمة في الرسالة موضوع البحث⁽¹⁰²⁾» قد يقدم المؤلف تلخيصاً موجزاً في عدد محدود من الصفحات تغطي فترة زمنية طويلة تشتمل على عشرات السنين⁽¹⁰³⁾ أو آلاف السنين كما هو الحال في رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان».

لقد قامت هذه التقنية التي مثلت نواة أحداث الرسالة بوظيفة مهمة فيها، فعندما انتقل إخوان

الجوارح⁽¹¹³⁾، واجتماع حيوانات البحر⁽¹¹⁴⁾، غير إن هناك تنوعاً يحمل دلالات خاصة حصل في هذه البنية، ففي اجتماع الطير نجد أن مناقب الطير تعرض لكل من الهدهد والديك والدرج والقبرة وغيرها بالتتابع، ثم يتم اختيار الهزار بقول الطاوس: «كلهم يصلح لذلك لأنهم كلهم فصحاء خطباء شعراء غير أن الهزار أفصح لسناً وأجود بياناً وأطيب ألحانا ونغمة»⁽¹¹⁵⁾، ولعل السمة الدينية للطير هي التي فرضت هذا التنوع البنائي، فالطيور كلها تحتل مكانة دينية راقية؛ قال تعالى: «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين»⁽¹¹⁶⁾.

ويحصل تنوع على هذه البنية في اجتماع الهوام⁽¹¹⁷⁾، فحين وصل الرسول إليها وأخبر ملكها الأفعى بالمهمة التي جاء من أجلها شكها ملك الهوام ضعفها إلى الله، مما جعل الصرصر يهون من روع الأفعى ويقوم بالمهمة، وفي هذا التنوع على البنية تناسب مع طبيعة الهوام الضئيلة الحجم.

4. بنية التوقع والحل: وتختص هذه البنية باجتماع الإنس بعد الجلسة الأولى مع ملك الجن، حيث توقع كل واحد من الإنس ما سيحصل من الجن في الحكم، ووضعوا في مقابل كل توقع حلاً معيناً⁽¹¹⁸⁾، وقد تكفلت هذه البنية بالكشف عن الفساد في عالم الإنس، فعملية التوقع تتطلب إيجاد حل يتعلق بالحكم الذي توقعوا إصداره من قبل الجن، وقد تمثلت الحلول بالرشوة والهدايا وشهادة الزور والكذب.

ويتبين للقارئ من خلال المقارنة بين هذه البنية وبنية «الاقتراح» أن هناك فارقا بين المجتمع الإنساني الذي يسود فيه الفساد ومجتمع الحيوانات الذي يتسم بالتأخي والإيثار، في حين أن مجتمع الجن يقوم على التنظيم والشورى والتوافق، فعلى الرغم

للإنسان»، وتحتاج هذه المقولة إلى إثبات، ويكون ذلك من خلال الدلائل الشرعية والحجج العقلية التي يطرحها إنسي أمام ملك الجن مما يؤدي إلى رد هذه المقولة من قبل الحيوان بالدلائل الشرعية والحجج العقلية المناسبة لتلك التي طرحها الإنسي، وفي حين تثبت المقولة الأساسية بتغيير الدلائل وتعدد الردود على الدليل الواحد. وتتكرر هذه البنية في الجزء الثاني من الرسالة⁽¹⁰⁸⁾، وبعد استدعاء ملك الجن للحيوانات والإنسان في الجزء الثالث عشر إلى نهاية الرسالة⁽¹⁰⁹⁾، ولا نجد انحرافاً عن هذه البنية الحجاجية في المواضع المشار إليها إلا في نهاية الرسالة عندما توافق الحيوانات على مقولة الإنسان⁽¹¹⁰⁾. وتمثل هذه البنية أساس الرسالة، إذ يتم من خلالها إظهار وجوه الاختلاف بين الإنسان والحيوان.

3. بنية الاقتراح: وتأتي بنية الاقتراح في الاجتماعات الخاصة بجنسي الجن والحيوان، ففي اجتماع الجن يعرض وزير الجن رأيه باجتماع قضاة الجن وحكمائهم وفقهائهم لمناقشة آرائهم، ويوافقه ملك الجن على ذلك، ثم يطرح كل واحد من هؤلاء رأيه فينقض ويسوغ هذا النقض ليطرح رأي آخر وينقض، وهكذا حتى تتم الموافقة على الرأي الأخير القاضي باجتماع الجن والإنس والحيوان⁽¹¹¹⁾.

وينطبق هذا الترتيب البنيوي على اجتماعات الحيوانات من الفصائل المختلفة وهي تنتدب من سيمثلها أمام محكمة ملك الجن، إذ يقترح واحد منها لا يمتلك السمات الكافية للقيام بالمهمة، فيقترح آخر، وهكذا حتى يختار أحدهم للقيام بالمهمة، وتمثل هذه البنية الأساس في اجتماعات فصائل الحيوان، وهي اجتماع السباع⁽¹¹²⁾، واجتماع

(5)

بناء النص والمنحى التعليمي في رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان»

استطاع إخوان الصفاء أن يخرجوا رسالتهم من الرتبة بتنوع البنى لكنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على وظيفة البنية الأساسية فيها، وهي بنية الحجاج، ففي إطار بنية الاستفهام والجواب جاء على لسان اليعسوب: «ومما خصنا وأنعم به علينا أن جعل الله في مكاسبنا وذخائرنا وما يخرج من بطوننا شراباً حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس»⁽¹²²⁾، وفي ذلك خروج على وظيفة البنية الحجاجية التي تقوم الحيوانات من خلالها بمحاولة إثبات استقلاليتها وحريتها، ولعل ذلك مما يعود إلى السمة التعليمية في الرسالة موضوع البحث، فإخوان الصفاء حريصون على تقديم المعلومة للمتلقى كما إنهم حريصون على توجيهه إلى السلوك الذي يدعون إليه مما يدل على ملامح تعليمية في هذه الرسالة، وقد ظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

1. سمحت الأشكال البنائية في الرسالة بتقديم المعلومة والتوسع فيها، فالمقولة الأساسية في البنية الحجاجية استدعت ردوداً متعددة وواسعة تمت الإشارة من خلالها إلى مجالات العلوم والسلوكيات البشرية، كما إنها أفسحت المجال للإرشاد الفكري والسلوكي، فما يرد من قبل ملك الجان أو الحيوان يوحى للمتلقى بعدم القبول، وما لا يرد ويوافق عليه يوحى له بالقبول، ومن ذلك ما أشار إليه الإنسي في أفضلية الإنسان على الحيوان، إذ قال بوحدانبة صورة الإنسان وكثرة صور الحيوان، فأجابه الهزار بقوله: «صدق أيها الملك، ولكن...»⁽¹²³⁾، أما بنية الاستفهام والجواب فتفسح المجال لإلقاء الفكرة

من تصوير مجتمعي الجن والحيوان من خلال بنية واحدة ظهرت ملامح الاختلاف بين هذين المجتمعين، فالشخصيات التي جاءت في مجتمع الجن تشبه الشخصيات في أي مجتمع إنساني، فمنهم الوزير والقاضي والحكيم، وكأن هذا المجتمع يعرض الصورة الموازية للمجتمع الإنساني بمواصفات مثالية تمثل قدوة بالنسبة للمجتمع الإنساني.

ولعل من الجدير بالملاحظة في هذا السياق اعتماد اجتماع كل من الحيوانات والجن على بنية واحدة في حين جاء اجتماع الإنس في بنية متفردة، مما يذكرنا بالموقف الفكري لإخوان الصفاء، فهم ينزعون إلى الطبيعة الأولى الغريزية التي تمثلها الحياة الحيوانية خير تمثيل إذ مثل الدين مكونا عضواً فيها، كما إنهم يروجون للحياة الإنسانية التي يجمعها الدين الذي يعد بالنسبة لهم بذرة الوحدة الطبيعية التي تجمع بين الناس، ولما كان الناس بعيدين عن الدين مثل الجن دور هذا المجتمع المثالي من خلال تلك البنية نفسها التي ظهرت من خلالها اجتماعات الحيوانات.

5. بنية الاستفهام أو الطلب والجواب: وتكرر هذه البنية في مواضع متعددة من الرسالة، وتتوجه على الأغلب من شخصية أعلى منزلة إلى أخرى أدنى منزلة كتوجيه ملك الجن الاستفهام إلى ابن آوى حول هويته وإجابة ابن آوى له⁽¹¹⁹⁾، وغالباً ما تؤدي هذه البنية وظيفة تقديم المعلومة⁽¹²⁰⁾، وقد يقوم الطلب مقام الاستفهام كطلب ملك الجن من أحد الإنسيين أن يتكلم فاستجاب الإنسي وقال خطبة⁽¹²¹⁾.

وإن كان من الطبيعي أن تنطلق الحيوانات في حواراتها من معرفة الإنسان بها، فإن انطلاقها من معارف الإنسان المتنوعة يؤكد رغبة إخوان الصفاء بتقديم معرفة تعليمية متنوعة على السنة الحيوانات. ولعل رغبة إخوان الصفاء بتمثيل العالم من خلال هذه الرسالة تمثيلاً مطابقاً جعلتهم يحولونها إلى دائرة معارف، وهذا ما لم يؤهلها لإيجاد بطل محرك للحدث، فالشخصيات جميعها ليس فيها ما يمثل بؤرة.

خلاصة:

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يأتي:

1. تدل التحولات التي طرأت على عنوان رسالة ونصها على تميزها بسمات أدبية وفكرية وعلمية.
2. يتسم فكر إخوان الصفاء بأنه فكر تجميعي يأخذ من كل علم بطرف.
3. آمن إخوان الصفاء بدور الدين في التقريب بين الناس، وبدوور المذاهب في فسح المجال للناس بالاختيار.
4. لا تدرج الرسالة موضوع البحث في أي جنس غير جنس الرسالة الذي انفتح على أنواع أدبية متعددة.
5. تميزت الرسالة موضوع البحث ببناء خاص يتلاءم مع الطرح الفكري لإخوان الصفاء.
6. أسهم التوجه التعليمي للرسالة في صياغة بنائها، وأدى أحياناً إلى الخروج عن البناء المحكم لها.

أو المعلومة بوضوح، وفي بنيتي «التوقع والحل» و«الاقتراح» ما يسمح بتقديم المعلومة بشكل عرضي. 2. الإحالة على جزء آخر من الرسالة: ولعل في ذلك إشارة ظاهرة على الملمح التعليمي، ومن ذلك رد الببغاء على الإنسي في زعمه كثرة أصناف بني آدم؛ إذ قال: «اعلموا أن هذا الإنسي قد ذكر أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم، فلو تفكر أيها الملك الحكيم واعتبر كثرة أجناس الطيور لعلم وتبين له من كثرتها ما يصغر ويقل عنده أصناف بني آدم في جنب ذلك، كما تقدم ذكره في الفصل الأول»⁽¹²⁴⁾، فأخوان الصفاء يحيلون بذلك على صفحات سابقة في إشارة تعليمية منهم، وهم في الوقت ذاته يحيلون على أنفسهم بوصفهم كتاباً للنص.

3. الحدث: لم تسمح البنى الموظفة لتقديم المعلومات المتنوعة والأفكار والرؤى الفلسفية بتشكيل الأحداث التي يمكن أن يحتويها نص بهذا الحجم يعتمد عنصر الحكاية، ولعل من البدهي أن كثرة طرح الأفكار المباشرة في نص حكائي تقلل من فرصة تكون الأحداث.

4. الشخصيات وأدوارها: حاول إخوان الصفاء أن يجعلوا كلام الشخصيات متناسبا مع طبيعتها، فالأسد يفتخر بقوته ويسأل عن واجبات الملك⁽¹²⁵⁾، في حين تظهر السمّة الإيمانية والوعظية في حديث الطيور، وغالباً ما يكون كلامها مسجوعاً⁽¹²⁶⁾، وفي ذلك ما يتناسب مع طبيعة أصواتها، ولعل سمّة التميز التي أعطاها إخوان الصفاء للنحل والطيور منطلقين في ذلك من ذكر القرآن لهذين النوعين جعلتهم يبتعدون في معارف هذين النوعين، فالببغاء يعرف بالتنجيم أكثر من الإنس⁽¹²⁷⁾، واليعسوب يتحدث عن الهبولى⁽¹²⁸⁾.

الهوامش

1. انظر: سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.
2. حول الرسالة وصراع الأجناس الأدبية؛ انظر: نذير العظمة، مرايا ومسافات (قمم عالمية وأصدقاء عربية)، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، "كتاب الرياض"، 2000، ع80، ص59-51.
3. انظر: زكي مبارك، النشر الفني في القرن الرابع، ج1، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط2، 1957، ص ص 271-280.
4. يشير مبارك إلى أنه لم يقصد أن يحلل الرسالة تحليلاً وافياً؛ يقول: "لم يكن من همنا أن نحلل الرسالة التي عرضنا لها في هذا الفصل تحليلاً وافياً، وإنما قصدنا إلى إعطاء القارئ فكرة عن أسلوب الكاتب في عرض المسائل العلمية عن طريق القصص، وهو أسلوب له قيمة فنية..." انظر: النشر الفني في القرن الرابع، هامش ص 280.
5. انظر: مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1968، ص 722-730.
6. انظر مثلاً: فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب (جذور التفكير وأصالة الإبداع)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة "عالم المعرفة"، 2002، ع284، ص 97-133. وفوزي العنتيل، عالم الحكايات الشعبية، الرياض: دار المريخ، 1983، ص ص 60-68.
7. انظر مثلاً: وجيه أحمد عبدالله، الوجود عند إخوان الصفا، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989، ص ص 135-136. وانظر: فؤاد معصوم، إخوان الصفا.. فلسفتهم وغايتهم، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 1998، ص ص 102-99.
8. يشير بروكلمان إلى النجاح الأدبي الذي حققته رسائل إخوان الصفاء؛ انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، ج4، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1983، ص ص 155-156.
9. أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، ج2، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص 6-5.
10. انظر: تاريخ الأدب العربي، ج4، ص 157.
11. حازت هذه الرسالة أيضاً على اهتمام خاص حديثاً، فقد ترجمت إلى أكثر من لغة. انظر: تاريخ الأدب العربي، ج4، ص ص 158-159.
12. انظر: إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، بيروت، دار صادر، (د.ت)، 178-377.

13. إخوان الصفاء، تداعي الحيوانات على الإنسان، تقديم: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط3، 1983.
14. وجدت أن هذا العنوان متصل بعنوان فرعي للجزء الأول من الرسالة موضوع البحث في إحدى الطبقات الصادرة في مطلع القرن الماضي، فقد جاء هذا العنوان الفرعي بإضافة حرف «في» في بداية العنوان على النحو الآتي: «في تداعي الحيوانات على الإنسان»؛ ولعل فاروق سعد اعتمد على هذا العنوان الفرعي الذي تصدر الرسالة في طبعة مشابهة من هذه الناحية، وقد لاحظت أن هذه الطبعة أقرب إلى النسخة الموجودة في إطار الرسائل منها إلى تلك التي جاءت بتقديم فاروق سعد هذا إذا استثنينا الفصول الثمانية عشر الأولى، فقد اقتضت من هذه النسخة كما هو الحال في النسخة التي اعتمدها فاروق سعد، ومع ذلك فهي لا تتطابق كلياً مع أي منهما، وهذا ما جعلني أتجنبها في عملية الموازنة لكي لا يتشعب البحث؛ انظر: إخوان الصفاء: الحيوان والإنسان وهي خاتمة وزبدة رسائل إخوان الصفاء، مصر: مكتبة المعارف، 1913.
15. تداعي الحيوانات على الإنسان، مقدمة الكتاب، ص 38. لم أعر على رسائل إخوان الصفاء منشورة في جزأين، والطبعات المتداولة منشورة في أربعة أجزاء بأربعة مجلدات، وتقع الرسالة الثامنة موضوع البحث في المجلد الثاني، انظر: رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 178، ولعل فاروق سعد يقصد النسخ المنشورة في مجلدين حيث ضم كل مجلد جزأين؛ انظر: إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق: خير الدين الزركلي، ج2، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1928، ص 153. وليس هناك فرق يذكر بين هاتين الطبعتين، وقد آثرت أن أعتمد النسخة المطبوعة في أربعة أجزاء لأنها أوسع انتشاراً الآن، فهي متاحة للقراء.
16. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، مقدمة الكتاب، ص 38.
17. يتسق هذا الطابع التعليمي للرسالة مع طبيعة الدعوة لدى إخوان الصفاء، فمن المتعارف عليه أن مجموعة إخوان الصفاء كانت تحاول بث دعوتها بين الناس واستقطاب أكبر عدد ممكن منهم، انظر مثلاً: إخوان الصفاء.. فلسفتهم وغايتهم، ص76.
18. لا بد من التنبيه في هذا إلى أن العنوان "تداعي الحيوانات على الإنسان" عنوان فرعي أصلاً، فلم يجز تحول على النص باتخاذ، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في الهامش رقم (14).
19. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 203-178.
20. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 276، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 145.
21. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 338، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 215.
22. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 277، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 147.
23. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 270، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 138. والحوار كما ورد في الرسائل يتعلق بأهمية العبادة، فالنملة طلبت من النمل أن يدخلوا مساكنهم كي لا يشتغلوا بالنظارة إلى جيش سليمان عليه السلام ويفوت عنهم ذكر الله تعالى، فهي تعلم أن الأنبياء لا

- يظلمون أحدا. وهذا الحوار مبني على الآية الكريمة « حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » (النمل 18).
24. انظر: رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 273، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص141.
25. هناك مواضع متعددة للحذف يلحظ فيها هذا الميل للاختصار؛ انظر مثلا بالإضافة إلى ما ورد في المتن: رسائل إخوان الصفاء، م2، ص ص 304-305، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 181، وانظر أيضا: رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 364، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 245.
26. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص ص -326 327، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 202-203.
27. انظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 277، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 262.
28. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 284، وهذا الرد غير موجود في تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 154، والضمير في «رعيناها» يعود على مفردة «فضائل» الواردة في قول السرياني.
29. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 284، وتداعي الحيوانات على الإنسان، ص 154.
30. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 49.
31. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 203.
32. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 52.
33. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 206.
34. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 240.
35. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 359.
36. انظر: تاريخ الأدب العربي، ج4، ص 553.
37. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 326. وانظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 202، إذ لن نجد هذا القول في السياق نفسه.
38. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 264 – 267.
39. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 264-267.
40. كتاب الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 4.
41. كتاب الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 5.
42. انظر: عبد اللطيف محمد العبد، الإنسان في فكر إخوان الصفاء، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976، ص 65. وانظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص 4، ص 200.

43. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 137.
44. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م2، ص10.
45. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 96-97.
46. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص -219 220.
47. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 241.
48. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 241-242.
49. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م3، ص 50.
50. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 233.
51. في هذا الطرح بالرغم من مثاليته ما يتقابل مع نظرية ماركس المادية حول الأثر الاقتصادي في حركة السير التاريخية دون الأخذ بالعوامل العرضية المتعلقة بظروف فرد أو آخر. انظر: فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط3، 1986، ص 64.
52. فلسفة التربية عند إخوان الصفاء، ص 150.
53. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م4، ص 41-42.
54. الإسراء، 44.
55. النور، 41.
56. الزمر، 9.
57. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 226-227.
58. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 259-261.
59. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 52-53، فقد وردت أكثر من آية كريمة للتدليل على أفضلية الإنسان.
60. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م4، ص 212.
61. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 201.
62. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 223.
63. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 235.
64. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 225.
65. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 198، وص ص 79-83، وص 208.
66. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 240.

67. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 240.
68. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 251.
69. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 250.
70. رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، م3، ص 491.
71. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 175.
72. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 261. ولعل الميل للقومية الفارسية واضح في هذا القول، فنسبة الرجل إلى الفرس تمثل بؤرة بالنسبة للسمات الأخرى التي يتميز بها، كما أن الراوي جعل هذا الرجل بالذات يختم أقوال كل الشخصيات.
73. رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 178.
74. رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 178.
75. رسائل إخوان الصفاء، م2، ص 179.
76. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 263.
77. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 187-186.
78. لعل هذا هو السبب الذي جعل مصطفى الشكعة يصف نهاية الحكاية بأنها غير مناسبة؛ انظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص 731.
79. الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص 722.
80. مرايا ومسافات (قمم عالمية وأصداء عربية)، ص 53.
81. تداعي الحيوانات على الإنسان، مقدمة الرسالة، ص 13-7.
82. حول خصائص ملحمة الحيوان، انظر: عالم الحكاية الشعبية، ص 58.
83. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 22.
84. تداعي الحيوانات على الإنسان، مقدمة الكتاب، ص 25.
85. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 198-193.
86. تأتي هذه الأحداث خلال متتين وسبع عشرة صفحة، انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 51-217.
87. انظر: عبد الله بن المقفع، كليله ودمنة، تقديم: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط3، 1983، ص ص 453-460.
88. انظر: فريدريش فون دير لاين، الحكاية الخرافية (نشأتها. مناهج دراستها. فتيها)، ترجمة: نبيلة

- إبراهيم، الفجالة: مكتبة غريب، 1987، ص 148.
89. النسخة التي قدم لها فاروق سعد لم تحتو عناوين للفصول.
90. انظر: رسائل إخوان الصفاء، ص 210.
91. انظر: رسائل إخوان الصفاء، ص 213.
92. تقوم الرسالة على الحوار، وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى وصفها بالمسرحية؛ انظر: إخوان الصفاء.. فلسفتهم وغايتهم، ص 101.
93. عبد العزيز حمودة، البناء الدرامي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 105.
94. تاريخ الأدب العربي، ج 4، ص 158.
95. حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت: مكتبة لبنان، 2000، ص 63.
96. حاول حسين الصديق التنظير لقوانين هذا الجنس الأدبي، انظر: المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ص 28.
97. مرسل فالح العجمي: السرديات (مقدمة نظرية)، الكويت: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 206، 2004-2003، ص 48.
98. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 50.
99. السرديات (مقدمة نظرية)، ص 48.
100. حول الطابع التعليمي في «روبنسون كروزو» و«الجزيرة السحرية»: انظر إيمانويل فريس، وبرنامج موراليس، قضايا أدبية عامة (آفاق جديدة في نظرية الأدب)، ترجمة: لطيف زيتوني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2004، ع 300، ص 125-126.
101. السرديات (مقدمة نظرية)، ص 48.
102. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 92.
103. محمد العبد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، مجلة فصول، ع 60، صيف-خريف 2002، ص 44.
104. أشرت إلى الأجزاء بحسب الترتيب الذي اختاره فاروق سعد من خلال الأرقام، انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 56-72.
105. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 185-260.
106. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 261.

107. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 73-85.
108. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 94-108.
109. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 122-128.
110. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 129-134.
111. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 117.
112. الأنبياء، 89.
113. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 135.
114. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 86-91.
115. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 148.
116. انظر مثلاً: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 181.
117. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 177.
118. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 177.
119. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 249.
120. تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 216.
121. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص ص 94-96.
122. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 113.
123. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 234.
124. انظر: تداعي الحيوانات على الإنسان، ص 234.

بيبلوغرافيا

القرآن الكريم

1. إخوان الصفاء: الحيوان والإنسان وهي خاتمة وزبدة رسائل إخوان الصفاء، مصر: مكتبة المعارف، 1913.
2. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار صادر، (د.ت).
3. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق: خير الدين الزركلي، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1928.
4. إخوان الصفاء، تداعي الحيوانات على الإنسان، تقديم: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط3، 1983.
5. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1983.
6. التوحيدي، أبو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، ج2، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ت).
7. حجاب، محمد فريد، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
8. حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
9. خورشيد، فاروق، أديب الأسطورة عند العرب (جذور التفكير وأصالة الإبداع)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة "عالم المعرفة"، 2002، ع284.
10. ديرلاين، فريدريش فون، الحكاية الخرافية (نشأتها. مناهج دراستها. فنياتها)، ترجمة: نبيلة إبراهيم، الفجالة: مكتبة غريب، 1987.
11. الشكعة، مصطفى، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1968.
12. الصديق، حسين، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت: مكتبة لبنان، 2000.
13. عبد الله، وجيه أحمد، الوجود عند إخوان الصفاء، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989.
14. العبد، عبد اللطيف محمد، الإنسان في فكر إخوان الصفاء، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976.
15. العبد، محمد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، مجلة فصول، ع60، صيف-خريف 2002.

16. العجمي، مرسل فالح: السرديات (مقدمة نظرية)، الكويت: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 206، 2004-2003.
17. العظيمة، نذير، مرايا ومسافات (قمم عالمية وأصداء عربية)، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، "كتاب الرياض"، 2000، ع80.
18. العنتيل، فوزي، عالم الحكايات الشعبية، الرياض: دار المريخ، 1983.
19. فريس، إيمانويل، وموراليس، برنار، قضايا أدبية عامة (آفاق جديدة في نظرية الأدب)، ترجمة: لطيف زيتوني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2004، ع300.
20. فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط3، 1986.
21. مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ج1، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ط2، 1957.
22. معصوم، فؤاد، إخوان الصفا.. فلسفتهم وغايتهم، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 1998.
23. ابن المقفع، عبد الله، كليله ودمنة، تقديم: فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط3، 1983.
24. نادية جمال الدين، فلسفة التربية عند إخوان الصفاء، القاهرة: المركز العربي للصحافة، 1983.
25. يقطين، سعيد، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.